إحتفالية العيد
ذلا
إسراء مظلوم
ISRAA HAZLOUNI

مقدمة

لعنة حلت عليه لا يعلم متى وأين؟

ولكنه شيء قديم منذ الأزل ولا يعلم أنه الشخص المنشود.

ترى هل سيتغلب على هذه اللعنة أم ستكون هي صاحبة السلطة عليه ويصبح هو من الرماد.

"حبيبي (مارتن) انظر إلى بطني البارزة ولدك يمارس الملاكمة يبدو أنه قويًا"
قالتها امرأة في منتصف عقدها العشرون بعينين زرقاء كصفاء البحر وملامح جذابة، كانت ممددة على أريكتها المفضلة ثم اتكأت برأسها على صدر زوجها (مارتن) وهو محتضن إياها بحنان يتحسس بباطن كفهُ على ملابسها بموضع بطنها وكان يبرز منها كتلة صغيرة وكأنها تجاهد للخروج وكفه الآخر يداعب خصلاتها الحمراء الطويلة ثم قال متنهداً بحنان:
- أوه حبيبتي (فيرا) أعتقد أنها يد طفلنا كم أشعر بسعادة فائقة لإخبارنا الطبيب (كيث) أننا سنرزق بذكر سأعلمه لعبة البيسبول وسيكون أمهر لاعب في ولاية (كاليفورنيا) .
رفعت (فيرا) رأسها لأعلى ناظرة لوجه (مارتن) بالمعكوس وضحكت بسخرية هاتفة:
- هاي...يا لك من ديكتاتور، هل تفرض على وليدك قبل أن يرى نور الحياة بلعب رياضتك المفضلة كن طيب القلب حبيبي حتى يحبك أووه.
تأوهت (فيرا) بشدة متألمة لدرجة الجلوس وامساك بطنها بكلتا كفيها.
قام (مارتن) فزعًا وجلس بمقابلتها ملتقطًا بكفيه وجه زوجته وهو يرى حبات العرق تنساب من بين ثنايا خصلاتها التي أصبحت رطبة شهقت بألم:
- اه يا إلهي لا أستطيع الاحتمال اوه (مارتن) ساعدني.
حاول (مارتن) تهدئتها ولكنه وجد زوجته تصرخ وبدأ صوتها يخشن وكأنها تزمجر، هرول (مارتن) وهاتف الطبيب (كيث) هاتفاً بقلق:

- دكتور (كيث) ساعدني (فيرا) تتألم بشدة لا أعلم ما بالها وصوتها يخشن وتصرخ هل تسمع؟ أسرع بحق السماء دكتور.

نظر (مارتن) إلى زوجته وخطا بقدميه تجاهها ولكنه استوقفته وصوتها أصبح به غلظة ومهيبًا:

- ابتعد عني وإلا أحرقتك.

****

راقب (مارتن) زوجته (فيرا) من خلف زجاج المشفى وهذا بعد أن أتى إليه (كيث) في المنزل واعطى إلى (فيرا) مهدئ بصعوبة بالغة وطلب منه حتمية ذهابها الى المشفى ووضعها تحت الملاحظة.

كانت (فيرا) نائمة بشكل طبيعي ثم فجأة صرخت بقوة وكأنها تلد ومن الظاهر أن بداخلها ثور وليس طفل شكل كرة تبرز من بطنها محاولًا اختراق جلدها.

حاول (مارتن) الدلوف الى الغرفة وهو يصرخ بجزع:

- حبيبتي ماذا أصابك؟

قاطعته (فيرا) وهي تشير إليه بإصبعيها وعينيها بها وميض مخيف ولامع هاتفة بصوت خشن:

- أخرج و إلا قتلتك.

خرج (مارتن) من الغرفة وهو يصرخ في أروقة المشفى:

- النجدة زوجتي تمووت.

ذهبت الممرضات إلى غرفة (فيرا) في الحال وطمأنته الممرضة:

- لا تقلق سيدي ستصبح بخير.

راقب (مارتن) ثورة (فيرا) وشعرها الأحمر أصبح مشعثًا والعرق يغرق وجهها وتحت عينيها سواد وكأنها لم تنم منذ سنوات.

هز رأسه متسائل بقلق هامس وعينيه تحمل دموعه:

- بخير. كيف؟؟

ذهبت الممرضة ووضعت لها مسكن آخر مما جعل جسد (فيرا) يهدأ ودخلت في سبات عميق.

بعد فترة من الوقت كان دكتور (كيث) يراقب (فيرا) من بعيد ويقيم كل ما فعلته منذ أن خطت قدميها هذه المشفى.

تنهد بحزن على حال زوجة صديقة ف (مارتن) صديقه منذ الطفولة وهذا ليس بهين عليه أن يرى هذه الأمور، نظر جانبًا ليجده يقف أمام زجاج الغرفة يراقب زوجته وهي نائمة والقلق يرتسم على محياه وعينيه مجهده.

ذهب (كيث) إليه وأحضر معه قهوة ساخنة مُعدة سريعاً بكوب من الفوم وقال بصوت هادئ:

- تفضل يا صديقي.

التفت إليه (مارتن) بحدقتيه الخضراوين بإرهاق وقد لفت انتباهُ القهوة التي بين يدي صديقه حتى مد ذراعه ببطء وأخذ الكوب الساخن:

- شكرًا (كيث) .

ثم أشار إلى (فيرا) بحزن:

- وماذا الآن (كيث) ؟ (فيرا) ليست بخير بتاتًا.

وضع (كيث) يده على كتف (مارتن) مطمئنًا:

- لا تقلق (مارتن) ستكون بخير لقد قمت بعمل بعض الصور الاشعاعية لها للاطمئنان عليها وعلى الجنين ورأيت أنهما بخير من الناحية الصحية ولكن طفلك يا عزيزي لا يهدأ أبدًا من التحرك كثير الحركة بشكل غريب كما يوجد هالة حمراء حوله فقط.

التفت (مارتن) هاتفاً بفزع لدرجة إيقاع بعض من قطرات القهوة على كفه:

- ماذا هالة حمراء؟؟ ماذا تعني (كيث) ؟ أخبرني بحق الله ماذا يعني هذا؟

نظر (كيث) بتعجب وهو يربت على يد (مارتن) :

- هاي اهدأ يا صديقي هذا لا يعني شيئاً، من الممكن وجود خطب ما بألة الأشعة ولكن أقسم لك أنهما بخير (فيرا) والجنين اطمئن.

هز (مارتن) رأسهُ بعصبية :

- ولكن ماذا عن كلماتها وصوتها الخشن؟ وتهديدها الدائم بأنها سوف تحرقني عباراتها غريبة بحق.

ضحك (كيث) مداعباً:

- إذن هل أنت خائف من (فيرا) الآن؟ أتخاف من زوجتك (مارتن) ؟

نظر إليه (مارتن) بحنق:

- كُف عن سخافاتك (كيث) لو كنت مكاني لفزعت إنك لم تراها وهي تزمجر وتتحدث بالوعيد.

نظر إليه (كيث) بشرود نعم فهو يعلم ما حدث ولكنه لا يريد اخباره بما يدور في عقله وسيظل بداخله فلعلها ترهات تتعلق بفكرهُ

أعقبها برسم ابتسامة يحاول بث الاطمئنان فيها إلى (مارتن) :

- أنتَ تحتاج إلى أخذ قسط من الراحة اذهب إلى بيتك الآن لقد حلَ الليل وفي صباح الغد ستصبح (فيرا) بخير كُن مطمئن.

زفر (مارتن) مستسلمًا:

- حسنًا (كيث) سأفعل عمت مساءً.

ثم نظر إليه برجاء:

- راعوها جيدًا من فضلك.

ثم ترك (كيث) دون أن يسمع منه كلمة.

دس (كيث) كفيه في جيبي معطفه الطبي وهو يراقب صديقه متمتمًا بحسره:

- أتمنى (مارتن) ألا يكون ما ببالي صحيح، فإذا كان صحيح فأنتَ لا تعلم ما حدث لزوجتك.

ثم أكمل وهو ينظر إلى (فيرا) القابعة بالفراش وعدة خراطيم تصل لجسدها الضئيل:

- أدعو الله (فيرا) ألا يكون ما في خلدي قد حدث لكِ وإلا قد تحدث كارثة.

ذهب (مارتن) إلى بيته وقد كان منهكًا بشدة حتى أنه لم يأخذ حمامًا و لا حتى يبدل ثيابه بل ارتمى بجسده على الفراش بقوة ثم دخل في سُبات عميق.

بعد فترة وجد (فيرا) تنام بجانبه وهي تلاعب خصلاته وقد كان الصباح قد جاء وملئت أشعة الشمس الغرفة.

قام (مارتن) وهو يناظرها بتعجب مستفهماً وهو يلتقط كفها:

- (فيرا) حبيبتي كيف خرجتي من المشفى؟ كيف أخرجك (كيث) ؟

نظرت إليه (فيرا) وابتسامتها تتحول لشكل غريب ولكن الأعجب شكل عينيها التي تحولت للون الأسود بالكامل وكأن عينيها أصبحت بئر حالك السواد مما أفزع (مارتن) الذي قام من فراشه وهو يشير إليها بهلع وسبابة مرتعشة:

- اللعنة من أنتِ؟ أين (فيرا) ؟ وماذا تريدين منها ومن طفلي؟

تفاجأ (مارتن) أن (فيرا) أصبحت أمامه ووضعت يدها وأحكمت قبضتها حول عنقه ورأى صوتها يخرج من بين شفتيها كفحيح ويبدو عميقاً وغليظاً:

- (فيرا) ملكي أيها الإنسي الحقير إنها زوجتي وأما عن الطفل فهو ابني.

فزع (مارتن) وهو يشعر أن الهواء ينفذ من رئتيه وهو يتساءل:

- ك...كيف؟

انحنت هامسة في اذنه:

- ابن الشيطان.

صرخ (مارتن) نافياً بفزع:

- لاااااا.

قام (مارتن) من فراشه وهو يصرخ:

- لاااا...لاااا (فيرا) والطفل لاااا إنها...

ثم تلفت حوله وجد أنه كابوس ومن شدة إرهاقه حلم بهذا الكابوس الذي ظن أنه حقيقة وتحسس عنقه وهو يشعر وكأن قبضة قوية كانت تعتصر عنقه.

قام وهو يلمس عنقه ومر من أمام مرآته الكبيرة بالغرفة وقد لاحظ احمرار شديد وكأن مخالب قد قبضت على عنقه عاد بسرعة إلى المرآه لم يجد شيء مما رآه وضع كفيه على كل وجههُ يمسحه محاولاً الإفاقة من خيالاته لقد ظن أنه رأى احمرار حول عنقه ولكنه اختفى الآن.

أخذ (مارتن) من خزانته ملابسه وذهب ليأخذ حمامًا ساخنًا حتى يذهب إلى المشفى لرؤية (فيرا) .

بعد فترة من الوقت جلس (مارتن) أمام المقود ليتوجه إلى المشفى حتى فاجأه هاتفه المحمول وهي تعلو نغمته حتى ضغط على الزر وهو يضع سماعة الأذن قائلًا بإرهاق:

- ألو...أجل أمي كيف حالك؟

ابتسمت (دارلا) وهي ترتشف قهوتها بهدوء:

- بخير عزيزي...أخبرني كيف حال (فيرا) وحفيدي المحبوب.

تنهد (مارتن) وهو يقود بحزن شديد مما جعل (دارلا) تسأله بتوجس:

- (مارتن) ما بكَ يا بني؟ هل (فيرا) بخير.

زفر (مارتن) بقوة ثم أخبرها ما حدث وبعدها أنهاها قائلًا:

- ولكن (كيث) طمئنني عليها و قال أنها فترة حمل ستمر بيسر بعد ذلك وألا أقلق.

تنهدت (دارلا) بقلق وهي تضع يدها على قلبها:

- حمدًا للرب...لا تقلق بني ستكون بخير. سآتي لزيارتها بعد قليل.

هتف (مارتن) نافيًا:

- لا أمي لا تتعبي ذاتك. محتمل أن تخرج (فيرا) اليوم فهذا ما أخبرني به (كيث) أيضًا.

عبس وجه (دارلا) وعينيها الزرقاء تضيق بقوة:

- شكرًا لك (مارتن) .

عض (مارتن) على شفته السفلى ندمًا:

- آسف أمي...لم أقصد أن أنفعل...فأنا لم أنم جيدًا منذ الأمس و...

قاطعته (دارلا) بإشفاق وقد مُحي غضبها:

- لا بأس يا بني، أنا مدركة ما تمر به عزيزي.

ثم ابتسمت:

- أنت متوتر بسبب تعب (فيرا) وطفلك الذي لم يأتي بعد إلى هذه الدنيا.

نظر (مارتن) إلى بناية المشفى الذي وصل إليها:

- معكِ حق أمي. حسنًا سأغلق الآن لقد وصلت إلى المشفى.

ابتسمت (دارلا) :

- حسنًا عزيزي. أوصل كل قبلاتي إلى (فيرا) ...وداعًا.

تمتم (مارتن) وهو يغلق باب سيارته:

- وداعًا أمي.

توجه (مارتن) إلى غرفة (فيرا) ، تردد قليلًا وهو يقف عند عتبة الباب يراقب قسمات وجهها الهادئة فلقد كانت مستغرقة في النوم وخصلاتها الحمراء تحاوط وجهها الأبيض الرقيق...

شعر (مارتن) بدقات قلبه تكاد تصل لحنجرته عندما التفتت إليه (فيرا) بحدة ثم تنهدت بحنان:

- أوه (مارتن) حبيبي.

زفر (مارتن) بارتياح وهو يتوجه قبالتها:

- حبيبتي...كيف حالك طفلتي؟

أعقبها بانحنائه وقبل جبينها بلطف:

- البيت دونك جحيم (فيرا) .

ضحكت (فيرا) برقة وهي تحاوط بكفها وجنته:

- (مارتن) ، كم أحبك.

ثم نظرت إليه بعمق لتسأله وهي تربت على بطنها بقلق:

- وكيف حال (ماثيو) طفلنا؟ لا أتذكر شيئًا بالأمس.

ملس (مارتن) بأصابعه بين منبت طيات شعرها وهو يكتم ما حدث:

- أنتِ بخير حلوتي. لا تلقي بالًا كانت مجرد وعكة بسيطة لا أكثر و لا أقل.

ثم تحسس بطنها بحنان:

- وأما ولدنا (ماثيو) فهو قوي مثل أبيه.

اقتربت منه (فيرا) وملست على وجنته مرة أخرى بروية ثم اشتدت أناملها بقوة حول فكه لدرجة آلمت (مارتن) بقوة وقد شعر بأنفاسه تختنق وتفاجأ ببئرين

سوداوين تنظرا إليه وصوت كالفحيح يعلمه جيدًا:

- هذا الجنين ليس ولدك يا أحمق بل انه ابني أنا (ديابلو) .

شهق (مارتن) فجأة وهو يتلمس عنقه ووجد (فيرا) تشهق معه هاتفة بقلق وهي تلتقط رأسه بين كفيها:

- ماذا هناك عزيزي؟ اهدئ إنه مجرد حُلم.

ازدرد (مارتن) ريقه بصعوبة ولم يستطع تصديق أنه غفا بين كفي زوجته وحلم بهذا الكابوس...

قام (مارتن) بجزعه العلوي يعتدل على كرسيه الحديدي ومسح جبينه ووجنتيه بكفيه يحاول الإفاقة، شهق (مارتن) وزفر حتى تهدأ ضربات قلبه.

ثم أخذ زجاجة الماء من على المنضدة التي بجوار الفراش وتجرع نصفها.

دخل على إثرها (كيث) هاتفًا بمرح:

- هاي. صباح الخير صديقي (مارتن) .متى أتيت؟

ابتسمت (فيرا) :

- لقد أتى منذ نصف ساعة.

وأعقبت ساخرة:

- ثم نام فجأة بين يدي.

التفت إليه (كيث) مازحًا:

- أها هكذا إذن. لم تستطع النوم إلا بين يدي (فيرا) .

سعل (مارتن) وهز رأسه بعض الشيء وهو يقوم:

- لا تبالغي عزيزتي. أنا لم أغفو.

هتفت (فيرا) بمزاح:

- لا أبالغ؟! هل تمزح معي لقد نام كالطفل الرضيع ثم قام يصرخ و كأنه حلم بكابوس.

علم (كيث) أن هناك خطبٌ ما بصديقه كما يشعر هو أيضًا.

أمسك (كيث) التقرير الطبي الخاص ب (فيرا) الملصق بمقدمة فراشها:

- حسنًا عزيزتي (فيرا) سأكتب لكِ على إذن خروج وكل ما أستطيع إخبارك به هو ألا ترهقي ذاتك حتى تلدي.

ثم التفت إلى (مارتن) مازحًا:

- وأنتَ أيها الناعس. خذ قسط كافي من النوم حتى ترعى (فيرا) جيدًا. هل اتفقنا؟

ابتسم (مارتن) بإرهاق:

- اتفقنا يا صديقي.

****

بعد عدة أيام كانت (فيرا) تتناول طعام الغذاء والعمة (مارثا) تجلس معها تثرثر كعادتها:

- حسنًا عزيزتي (فيرا) طعامك ليس سيء ولكنه قليل من الملح و...

ثم غرزت شوكتها في قطعة اللحم وهي تنظر إليها بضيق لتكمل:

- وقطعة اللحم نيئة أكثر من اللازم كان من الممكن أن تتركيها تطهى جيدًا.

نظرت إليها (فيرا) بضيق وقالت بتبرم:

- عذرًا عمتي (مارثا) فالحمل يتعبني هذه الأيام...

ثم ربتت على بطنها برفق باسم:

- ويبدو أن (ماثيو) يحب اللهو ويجهدني بشدة أيضًا.

لوت (مارثا) شفتيها وهي تضع قطعة أخرى من اللحم في فمها لتلوكها بغير رضا:

- هااه...أتسمي هذا تعبًا تبًا لكم شابات هذه الأيام فأنا عندما كنت في عمرك كان لدي أربعة والخامس كان بين أحشائي وكنت أقوم بواجبات البيت بالأجمع دون أن أهمل شيئًا واحدًا.

نظرت إليها (فيرا) نظرة غريبة وقامت من مجلسها وهي تقترب منها:

- عمتي (مارثا) زمنك غير زمننا وأنتِ بصحة جيدة أليس كذلك؟

ضحكت (مارثا) بسخرية:

- بالطبع (فيرا) أنا في أفضل حا...

لم تكمل (مارثا) جملتها فلقد شهقت فجأة وصوتها يخرج متحشرجًا من حلقها تستنجد ب (فيرا) ووجهها محتقن:

- النجدة...أشعر بالاختناق (فيرا) ساعديني...

ولكن (فيرا) كانت تتابعها ببرود وهي تتراجع هامسة بصوت غليظ:

- لا أحد يضايق زوجة الشيطان.

فتحت (مارثا) عينيها عن آخرهما من هول الذي سمعته قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وهي تمسك عنقها ثم وقعت من على المقعد جثة هامدة.

مرت فترة من الوقت وصرخت (فيرا) وهي تتجه إلى الهاتف لتهاتف (مارتن) بفزع وهي ترى جسد (مارثا) المسجى أرضًا:

- (مارتن) النجدة عمتي (مارثا) اختنقت ولا أعلم ماذا أفعل؟

جاء الليل وأتت الشرطة إلى البيت لتستفهم من (فيرا) ما حدث بعد أن أتت الإسعاف وأكدت وفاة (مارثا) من أثر اختناقها بقطعة اللحم، هتفت (فيرا) مدافعة عن ذاتها:

- لا أعلم ما حدث لقد وجدتها تختنق ثم وقعت من على المقعد جثة هامدة.

ربت (مارتن) على كتفها يحاول تهدئتها:

- اهدأي (فيرا) رجاءً ودعيني أتحدث مع الشرطي.

ثم توجه إلى الشرطي:

- سيدي أنتَ ترى زوجتي إنها تمر بفترة عصيبة لقد رأت عمتها متوفاة أمامها.

ابتسم الضابط بسخرية:

- أها معها ومن المحتمل أن تكون قتلتها.

هتف (مارتن) بغضب:

- هل هناك دليل يؤكد ما تقوله؟

هز الضابط رأسه نافيًا:

- لا سيد (مارتن) ولكنها كانت معها بمفردها، هناك احتمال أنها تكون قد قتلتها؟

هتف (مارتن) بغضب شديد وهو يلوح بيده:

- لماذا؟ هل تملك العمة (مارثا) الثروة كي تقتلها لترثها؟

صمت الضابط فأكمل (مارتن) بضيق:

- بحق الله تكلم بمنطقية، ليس هناك أي منطق فيما تقوله.

هز الضابط رأسه بلا معنى:

- حسنًا سيد (مارتن) سأدعها ولكن لن تخرج خارج المدينة إلا بإذن منا فما زالت القضية مفتوحة.

وافقه (مارتن) :

- حسنًا. أشكرك.

ثم اقترب من (فيرا) وهدأها:

- لا تقلقي عزيزتي.

هزت (فيرا) رأسها بحزن ودموعها تنساب على وجنتيها كالأنهار:

- لم أكن أنا الفاعلة (مارتن) أرجوك صدقني.

لثمها (مارتن) من جبينها:

- أعلم حبيبتي.

******

بعد فترة شهرين أُغلقت قضية (مارثا) وتم تبرأه (فيرا) وموعد ولادتها تبقى منه ثلاثة أشهر ويأتي وليدها (ماثيو) إلى الحياة.

جلس (مارتن) في عمله بمكتبة (واندر) وهو ينظر إلى الكتب المتراصة ويشير إليها موضحًا للعامل:

- حسنًا (لوثر) ضع مجموعة كتب التاريخ اليوناني القديم في القسم اليوناني و...

أشار (مارتن) مكملًا وهو يتحرك عنوة ولم يراعي هذه الكتب الموضوعة على الأرض فوق بعضها حتى يتعثر مسببة سقوطه بقوة، أتى (لوثر) بسرعة وبعض العاملين في المكتبة بفزع:

- سيد (مارتن) هل أنتَ بخير؟ هل أصابك شيء؟

شعر (مارتن) بدوار وصوت طنين في أذنيه ولكن بعد ثوانٍ معدودات قام من مرقده ونفض الأتربة من على ثيابه وهو يتأوه:

- أنا بخير شكرًا لكم.

ثم أشار إليهما وهو ينظر إلى بعض الكتب الملقاة ولفت نظره الكتاب الذي تزحزح بجانب الكتب التي تعرقل فيها وكان كتابًا مظهره قديم وكأن عبق الأساطير ستخرج منه الآن أخذه وهو يكمل:

- الجميع يعود إلى عمله رجاءً.

ثم أخذ هذا الكتاب الذي كان ما زال يرى ظهره فقط ولكن عندما قلبه ليرى ما عنوانه حتى شعر بقبضة تعتصر قلبه كان اسم الكتاب هو (ابن الشيطان) .

وتذكر فقط البئرين السوداويان وفحيح هامس:

- ابن (ديابلو) .

هز (مارتن) رأسه بقوة و كأنه ينفض هذه الترهات التي تتخلل أُذنه نعم إنها ترهات ليس إلا وسيمحوها من ذاكرته، أخذ الكتاب ليضعه بإهمال على الكرسي الذي بجواره وهتف:

- (لوثر) هذا الكتاب ليس له فائدة أرجو أن تضعه في الأرشيف بالطابق السفلي من المكتبة هل سمعت؟

هز (لوثر) رأسه بطاعة ولكنه تعجب من طلب (مارتن) فهذه أول مرة يطلب فيها كتاب يلقى بغرفة الأرشيف ولكنه سينفذ ما يطلبه منه فهو مديره على أية حال

وقال بهدوء:

- حسنًا سيد (مارتن) .

زفر (مارتن) ليريح صدره ثم توجه إلى خارج المكتبة عله يستريح من تلك الأشياء التي حدثت له منذ عدة أشهر والتي يحاول محوها أيضًا ولكن حقًا هل سيستطيع نسيانها؟

"الاصطياد في هذا الصباح شيئًا رائع. أليس كذلك (مارتن) ؟"

هتف (كيث) بهذه العبارة وهو يسترخي بالقارب حتى نظر إليه (مارتن) وهو ينتظر صنارته أن تهتز لعل هناك سمكة "تراوت" تعلق بها ثم تنهد مبتسمًا:

- نعم رائع حقًا ولكن صنارتي اللعينة لم ترنو إليها أي سمكة حتى ولو كانت التي نضعها طُعم للأسماك الكبيرة.

ضحك (كيث) بقوة:

- أها من الواضح أن هناك شخص منزعج هذا الصباح.

ثم أردف وهو يرفع حاجبيه بعبث:

- هل (فيرا) أخافتك قبل أن تركب معي القارب؟

كان بجانب (مارتن) زجاجة بلاستيكية فارغة أخذها بضيق وألقاها على (كيث) هاتفًا:

- كُف عن سخريتك هذه (كيث) .

ضحك (كيث) أكثر:

- حسنًا لا تغضب (مارتن) أنا أحبك يا رجل.

لكزه (مارتن) في كتفه بقبضته اليسرى:

- أُصمت أيها الأبله.

وأعقبها بهزة من رأسه ساخرًا:

- لا أعلم كيف تكون طبيب يا صديقي وتصرفاتك كالأطفال.

نفى (كيث) بقوة:

- لا يا صديقي لا تخلط بين المهنة والحياة الشخصية فعند دخولي للمنزل بعد يوم مُجهد بالمشفى ألقي وراء ظهري كلمة "طبيب" هذه وأصبح (كيث) فقط وألعب مع (زاك) و (ليزا) الصغيرة وأحتضن زوجتي (زيتا) .

صفق (مارتن) على ركبته بكفه الأيسر:

- أحسنت يا صديقي أهنئك من كل قلبي.

ثم تذكر (فيرا) التي لم تظهر منها أي حركات مخيفة ولا كوابيس راودته منذ وفاة عمتها (مارثا) أصبحت الأمور أكثر هدوءً، قاطعه (كيث) ليسأله:

- وأنتَ كيف حال (فيرا) لم أراها سوى اليوم في رحلتنا هذه؟

ابتسم (مارتن) بخفة:

- أجل هي بخير بل أفضل حال، فمنذ أن ذهبنا إليك الشهر الماضي وطمأنتنا على الجنين وهي لم تشكو من شيء.

صمت (كيث) ثانية ثم ابتسم بشرود:

- جيد يا صديقي.

اهتزت صنارة (مارتن) حتى هتف:

- مرحًا ها لقد أكلت سمكتي طُعمي اللذيذ.

ضحك (كيث) وهو يربت على كتفه:

- هنيئًا لك عزيزي.

رفع (مارتن) صنارته للأعلى حتى ظهرت سمكة (تراوت قوس قزح) كبيرة ضحك على اثرها (كيث) :

- أوه يا لها من سمكة سمينة. أعتقد أن هذه تكفي هي وباقي الأسماك التي قمنا باصطيادها فلنكتفي بهم حتى نعود لمخيمنا فزوجتينا تنظرانا بالتأكيد بكنزنا الثمين.

أمسك (مارتن) بالمجدافين ضاحكًا:

- معك حق (كيث) هيا بنا.

كانت في هذه الأثناء تقوم (فيرا) بوضع الأطباق على الشرشف المفترش أرضًا وبعد أن نظمتها قامت (زيتا) بوضع سلة الطعام قائلة بود وهي تعيد خصلتها الشقراء للخلف:

- كيف حالك اليوم (فيرا) لقد اقترب الموعد أليس كذلك؟

نظرت إليها (فيرا) ببسمة خافتة:

- نعم.

ثم نظرت رابته على بطنها:

- أجل لقد اقترب وأنا أشعر أن اللحظة المنتظرة ستأتي عما قريب.

ظنت (زيتا) لوهلة أنها رأت عيني (فيرا) أصبحتا بلا حدقات وإنما بحران سوداوان مما جعلها تشهق بخفوت وهزت رأسها بجزع ثم نظرت مرة أخرى إلى (فيرا) لتجد عينيها زرقاء كما تعلم لونهما حتى قاطعتها (فيرا) مستفسرة:

- (زيتا) هل أنتِ بخير؟

ابتسمت (زيتا) بارتباك وهي تقوم:

- أجل أنا ب...بخير. سأرى (زاك) ... (زاك) عزيزي أين أنتَ؟

أجابتها (فيرا) دون أن تنظر:

- لقد تسلق شجرة ولن يهبط منها الآن؟

التفتت إليها (زيتا) بفزع:

- ماذا؟

ثم هرولت تجاه الشجرة بخوف حتى هتفت (فيرا) :

- لا تقلقي إنه بخير فهو يحب أن يتشبه بالطيور.

وصلت (زيتا) إلى الشجرة حتى وجدت (زاك) وقد كانت بشرته شاحبة والخوف مرتسم على محياه الصغير، تعجبت (زيتا) من مظهر طفلها حتى رفعت ذراعيها إليه لتتلقاه هاتفة بهدوء وبداخلها ألف تساؤل:

- اهبط (زاك) بهدوء لا تخف والدتك ستتلقاك هيا حبيبي لا تفزع.

ابتلع (زاك) ريقه بصعوبة وارتعشت ركبتيه الصغيرتين وهو يقول بجزع والخوف ينطلق من عينيه الخضراوين:

- أمي أنا خائف.

هزت (زيتا) رأسها محاولة طمأنة صغيرها:

- لا تخف حبيبي هيا أُمك هنا.

ابتلع (زاك) ريقه مرة أخرى حتى زلقت قدمه صارخًا ولكن (زيتا) سحبته وأخذته بين أحضانها:

- اهدئ حبيبي...اهدئ أمك هنا شششش.

ارتعش (زاك) بين ذراعي (زيتا) وقال ببكاء:

- أريد العودة إلى المنزل.

ربتت (زيتا) على رأسه:

- حسنًا صغيري.

ونظرت إلى (فيرا) التي تنظر إليهما بصمت ولم تقف في مكانها حتى ولو سبيل لمساعدتها وإنما كانت كالصنم ونظرتها مخيفة من بعيد شدت على جسد (زاك) أكثر وهي تنظر إليها ثم تركتها واتجهت إلى مخيمها حيث تنام صغيرتها (ليزا) بعربة الأطفال.

و (فيرا) كانت تبتسم بتلذذ وهي تراقب تحركاتهما ثم نظرت إلى بطنها هامسة بصوت به مزيج من الخشونة والعمق:

- هل أعجبك الطعام يا وحشي الصغير؟ كانت ديدان شهية أليس كذلك؟

ثم تذكرت ما حدث بينها وبين ذاك الطفل الأبله (زاك) ، لقد كان بجانب المخيم حاوية كبيرة فيها العديد من الصناديق الصغيرة التي تحتوي على أنواع كطُعم للأسماك التي سوف يقوم باصطيادها كلًا من (مارتن) و (كيث) ولكنهما لم يأخذا الديدان واكتفوا بأخذ أسماك صغيرة كطُعم وتركا الديدان وهذا ما كان يريده وحشها الصغير لأنه لم يحب الطعام العادي الذي كانت تأكله وإنما يحب كل شيء غير طبيعي من الطعام وأطيبهم الديدان لذلك قامت (فيرا) بأخذ الديدان من الحاوية وقامت بتناولها وكان

من نصيب (زاك) رؤيته لها وهي تأكلها ولم يخرج من حلقه صرخة واحدة حتى لنظرتها المخيفة إليه وما كان منه إلا وقد هرول وتسلق تلك الشجرة القصيرة ترتعد فرائصه وبعد أن انتهت (فيرا) من اطعام جنينها حتى أخذت الأطباق وهي تضحك بداخلها عما تفعله.

جاء (مارتن) و (كيث) وكان هذا الأخير يهتف بمرح وهو يحمل صندوق الصيد:

- لقد عدنا أين أنتم يا قوم؟

شعر (مارتن) بالقلق عندما وجد (زيتا) تهرول ومعها طفليها مرتمية في حضن (كيث) قائلة:

- (كيث) علينا العودة إلى المنزل.

نظر إليها (كيث) بتعجب:

- ولكن السمك الذي قمنا باصطياده عزيزتي، ولما تريدي العودة إلى المنزل نحن غادرناه منذ ساعتين فقط وجئنا للتخييم ما بالك؟

همست (زيتا) وهي تراقب (فيرا) التي خرجت من المخيم وهي تنظر إليها ببسمة بريئة:

- زوجة صديقك هذه مجنونة كليًا علينا العودة إلى المنزل بربك يا (كيث) .

هتفت (فيرا) بمرح وهي تتجه إلى (مارتن) تقبله بخفة:

- كيف حالك عزيزي؟ ماذا هناك؟

هز (مارتن) أكتافه بحيرة وتوجس:

- لا أعلم ولكن يبدو أن (زيتا) تريد الرحيل والعودة إلى بيتها.

رفعت (فيرا) حاجبيها متسائلة بدهشة:

- لما تريد الرحيل؟

ثم أردفت وهي تتجه إلى (زيتا) رابته على كتفها:

- لما تريدي الرحيل (زيتا) ؟ الطقس رائع والرجال قاموا بالاصطياد من أجلنا وأنتِ تريدي الرحيل هكذا.

ثم قالت بهمس في أذنها:

- لا تحتملي صبري لم تري غضب امرأة حامل مثلي.

تراجعت (زيتا) وقالت بهدوء وهي تشعر بالرهبة:

- حسنًا سنظل حتى الغذاء ونرحل بعدها.

ابتسمت (فيرا) بغموض وهي تسحب (زيتا) من كفها:

- وما المانع من الصباح عزيزتي؟

هتفت (زيتا) وهي مازالت بجانب (فيرا) ببسمة مربكة:

معكِ حق ما المانع من المبيت.

ضحك (كيث) بتعجب ثم اقترب من (مارتن) قائلًا بمرح:

- النساء يا رجل لهم سحر على الرجال ومن المتضح أن لهما سحر خاص على بعضهما البعض.

كانت (زيتا) تحاول أن تبدو طبيعية وطفلها (زاك) بالطبع الذي لم يتحرك إلا مع والدته كظلها ورفض اللعب مع والده و (مارتن) بالكرة أو الطبق الطائر

والموقف مختلف بالنسبة ل (فيرا) فلقد كانت البسمة لا تفارق شفتيها وأصبحت طبيعية إلا بنظرتها الغامضة المخيفة التي لا يلاحظها سوى من تنظر إليه وكانا صاحبا النصيب هما (زيتا) و (زاك) اللذان تمنا أن يمر الليل كسرعة البرق حتى يتلخصا من (فيرا) ونظرتها تلك.

****

تأتي اللحظة الحاسمة وتكون (فيرا) بعد أسبوع من رحلة المخيم قد أتاها المخاض وأصبحت تصرخ بقوة وكأن روحها تحرقها ذهب بها (مارتن) سريعًا إلى المشفى وبعد عدة سويعات خرج (كيث) ومعه الطفل الذي كان جميلًا بحق وقد سحر لُب وقلب (مارتن) الذي حمله وهو ينظر إليه وإلى كفه الصغيرة وبشرته الحمراء النقية وعينيه التي تحمل لوني الرمادي كالفضة اللامعة والأزرق المائل للبنفسجي كم كان غريب لونهما ولم يكن مثل بقية الأطفال عينيه منغلقة ولكن بدى ل (مارتن) أنهما مفتوحان بشكل طبيعي وكأن نظره حاد ويرى كل شيء.

تعجب (كيث) أيضًا الذي تنهد بإجهاد:

- طفلك كان لا يريد الخروج من رحم أمه (مارتن) لقد كنا على وشك أن نقوم بعملية جراحي حتى نخرجه.

التفت (مارتن) إليه بقلق وهو يهدهد طفله:

- يا إلهي...هل (فيرا) بخير؟

ابتسم (كيث) وهو يتأمل الطفل:

- أجل هي بخير. بعد قليل ستكون بغرفتها ومعها (ماثيو) الصغير.

ثم مد ذراعيه ليأخذه برفق من ذراعي (مارتن) الذي أعطاه اياه بتوتر:

- حسنًا.

وراقب (ماثيو) وهو يلتفت إليه بطريقة ملفته ورأى تلك النظرة التي نسيها منذ فترة طويلة تلك العينان ولكن مع اختلاف الشخص فالبئران السوداوان ظهر مرة أخرى ولكن على هيئة صغيره...

انتفض (مارتن) وهو يطلق شهقة ووجد (كيث) وهو بجانبه على المقعد في صالة الانتظار قائلًا بإشفاق:

- اهدئ يا صديقي يبدو أنك غفوت قليلًا.

مسد (مارتن) بكفه على وجهُ المتعرق وهو يتمتم ببضع كلمات مبحوحة:

- أجل يبدو ذلك أنا متعب...لم أنم منذ ساعات.

ثم سأله وهو يقف بتوتر:

- هل (فيرا) بخير و (ماثيو) ؟

ابتسم (كيث) وهو يقف ثم ربت على كتف (مارتن) :

- أجل (مارتن) إنها بغرفتها هي وصغيرك ينتظرانك.

تنهد (مارتن) وقال محاولًا التبسم:

- إذن سأذهب إليهما.

طرق (مارتن) على باب غرفة (فيرا) بخفة ثم فتح الباب بروية وتنفس الصعداء عندما وجد (فيرا) مستيقظة وتبتسم له أيضًا ليس هناك أي شيء مريب، تقدم (مارتن) وقبل جبهة (فيرا) هامسًا:

- حمدًا لله على سلامتك حبيبتي.

ثم أكمل وهي ينظر إلى (ماثيو) المستكين بين ذراعيها مقبلًا رأسه:

- وعلى سلامة ابننا (ماثيو) .

نظرت إليه (فيرا) بغضب:

بل (زار) سيكون اسمه (زار) .

تعجب (مارتن) وردد الاسم:

- (زار) أي اسم غريب هذا؟ من أين أتيتي به (فيرا) ؟

انقلبت قسمات (فيرا) لوجه مخيف وصوت خشن يحفظه عن ظهر قلب:

- اسمه (زار) .

وفجأة الفراش اهتز وكأن هزة أرضية قوية طاحت به وعيني (مارتن) مرتبطة بعيني (فيرا) حتى أغمض عينيه وفتحهما ليجد أنه لم يصل حتى لغرفة (فيرا) وإنما هذا كان كابوس وقد عادت إليه كوابيسه مرة أخرى.

عاد الكره مرة أخرى وقبل (فيرا) والطفل حتى وقف عند نقطة اسمه ليسمع تأكيد من (فيرا) أن الطفل سيسمى (ماثيو) ولكن جملتها جمدت الدماء في عروقه عندما قالت بكل سلاسة:

- (زار) عزيزي سيكون ولدنا اسمه (زار) .

صمت (مارتن) بصدمه ثانية حتى سألته (فيرا) :

ماذا هناك (مارتن) ألا يعجبك اسم (زار) ؟

تذكر (مارتن) الكابوس الذي راوده حتى ابتسم بارتباك:

- لا عزيزتي انه اسم رائع ولكن ما معناه؟

هزت (فيرا) كتفيها وهي تمسد على خصلات (زار) بهدوء:

- اسم أفريقي يعني "الروح" رأيته بإحدى المواقع الإلكترونية راق لي وشعرت أنه مميز.

ثم قربت أنفها من أنف طفلها:

- أليس كذلك (زار) أنتَ طفل مميز.

همهم (مارتن) بشرود:

- أممم أجل اسم مميز فعلًا.

دلف (كيث) قال بصوت خفيض:

- كيف حالك (فيرا) ؟وحال (ماثيو) ؟

قالا (مارتن) و (فيرا) في آنٍ واحد:

- (زار) .

ردد (كيث) وهو يرفع حاجبيه الاثنين بدهشة وفزع في نفس الوقت:

- (زار) ماذا؟ أهكذا هو اسمه (زار) ؟

هتف (مارتن) بخفوت وهو يأخذ (كيث) على جانب بعيدًا عن نظرات (فيرا) الغاضبة:

- إنه اختيار (فيرا) هي تحب الاسم وأنا راق لي أيضًا وللعلم هذا الاسم معناه "الروح".

همس (كيث) بدوره:

- حسنًا صديقي إنه طفلكما وأنتما والديه فلكما مطلق الحرية.

ثم التفت إلى (فيرا) وقال ببسمة مزيفة:

- مبارك عليكما (زار) عزيزتي (فيرا) اسمه جميل.

ابتسمت (فيرا) بغموض:

- أجل بالطبع اسمه جميل ومميز ومختلف.

بعد أن عادا (مارتن) و (فيرا) ومعهما (زار) إلى بيتهما كان قد وصل الإرهاق ل (مارتن) مبلغه ونام بعمق حتى استيقظ على همس (فيرا) في أُذنه:

- استيقظ (مارتن) أريد أن أنام بعض الوقت ومنتصف الليل قد حل وأنت لا زلت نائمًا وصوت شخيرك عاليًا.

زفر (مارتن) واعتذر لها:

- آسف عزيزتي حسنًا سأقوم وأرعى (زار) .

خرج ومعه جهاز التنصت لصوت غرفة طفله في حال إذا استيقظ باكيًا ودلف إلى المطبخ ووضع الجهاز على منضدة المطبخ ليفتح المبرد باحثًا عن طعام له حتى سمع فجأة صوت عميق:

- (زار) بني ولدي ها قد أتى والدك لقد اقترب موعدنا.

رمى (مارتن) ما بيده وتوجه بسرعة البرق إلى غرفة ولده ليفتحها ويجد طفله معلق في سقيفة الغرفة من قدميه في الهواء ضاحكًا وفراشه أسفله من نار حميم صرخ (مارتن) حتى وجد (فيرا) بجانبه عند غرفة الطفل تهتف:

- (مارتن) لما تصرخ؟

نظر (مارتن) إليها ثم إلى (زار) ولم يجد أي شيء مما رآه ولكن هذه المرة لم يجد نفسه جالس وغفى وإنما حدث هذا في التو.

تراجع (مارتن) وقد وجد (زار) يبكي حتى أخذته (فيرا) بإرهاق وهي تترك الغرفة:

- اهدئ صغيري والدك أصبح مزعجًا أعلم ذلك يصرخ كالمجنون وأنتَ تغرق في نوم عميق هادئ يا له من مزعج.

لم يستطع (مارتن) التفوه بكلمة ولا يستطيع تفسير ما رآه الآن إلى (فيرا) إنه يحتاج إلى زيارة طبيب نفسي ولكنه يقسم أنه رأى طفله معلق في الهواء وفراشه تحول إلى نار مستعرة كما يرى الآن الغرفة مظلمة زفر (مارتن) بقوة وهبط للمطبخ ليغلق المبرد وينظف الفوضى التي أحدثها ولكنه تراجع للخلف للحد من اصطدامه بالحائط خلفه فهو لم يجد أي أطباق قد تهشمت أو براد بابه مفتوح ولكنه وجد كل شيء نظيف حتى علم أن هناك خطبًا ما بعقله هو بالفعل في حاجة إلى زيارة طبيب نفسي.

****

مرت السنوات الأولى و (مارتن) يرى أشياء غريبة كما يحدث معه ولكن بعد زيارته للطبيب النفسي حتى تحسنت حالته وأصبحت مستقرة إلى أن مرت خمس سنوات وأتم (زار) عامه الخامس.

****

وكان اليوم يوم مولده وقد أعد له والداه حفلة مميزة تعُج بالأقارب والأصدقاء و (دارلا) لم تستطع الإتيان لذهابها إلى (فلوريدا) لإتمام صفقة خاصة بعملها ولكنها بعثت بهديتها إليهم بالبريد السريع عن مجموعة من كتب التلوين المميزة ولكن بدى ل (مارتن) أنها لم تعجب (زار) ، وبالطبع لم يأتي (زاك) ولا والدته (زيتا) واعتذر لهما (كيث) بأسف:

- أعتذر عن عدم حضور (زيتا) و (زاك) و (ليزا) فهي اليوم عند والدتها وهي مريضة بعض الشيء.

هزت (فيرا) رأسها بعدم اهتمام:

- لا بأس (كيث) أبلغ تحياتي لها ولوالدتها وابعث بقبلاتي إلى (زاك) و (ليزا) .

ابتسم (كيث) :

- شكرًا سأفعل.

ثم نظر إلى (زار) وذهب إليه ليربت على رأسه بحب:

- كل عام وأنتَ بخير يا بطلي. هل تعلم العم (كيث) ماذا أحضر لكَ في يوم مولدك؟

ابتسم (زار) بغموض:

- شكرًا عم (كيث) .

ثم صفق بمرح:

- ما هي هديتي؟

ربت (مارتن) على رأسه:

- اهدئ صغيري عمك (كيث) سيريك الآن هديتك.

أخرج (كيث) من صندوق كرتوني كبير:

- شخصية تظهر مثل الشيطان.

حتى هتف (زار) بمرح وهو يقفز:

- واو (ديابلو) أجل هذه هي الهدية. شكرًا عمي (كيث) .

عبث (كيث) بخصلات (زار) مرحًا:

- أنتَ على الرحب والسعة يا صغير.

أخذه (مارتن) جانبًا ليسأله بضيق:

- ما هذه اللعبة يا (كيث) ؟

تعجب (كيث) من عبس (مارتن) :

- ماذا هناك (مارتن) ؟ لقد أخبرتني (فيرا) بأن هذه هي اللعبة التي يحبها (زار) عندما سألتها عما يتمناه بيوم مولده.

صمت (مارتن) وقال بتعجب:

- ماذا؟

ثم هز رأسه بأسى:

- حسنًا (كيث) شكرًا لك على هديتك.

نظر إليه (كيث) بحزن:

- ماذا بك (مارتن) ؟لقد أصبح مظهرك غريب وكأنك ستجن قريبًا.

هز (مارتن) رأسه ونظر إليه بقلق ثم تركه هامسًا:

- لا شيء إنها مجرد ترهات.

ابتسم (كيث) وقال بهدوء وهو ينظر إلى ساعة يده:

- حسنًا سأذهب الآن. علي الذهاب إلى حماتي وأراك قريبًا وداعًا.

ودعه (مارتن) ثم هز رأسه بشرود يفكر بعض الشيء وقرر الذهاب إلى غرفة (زار) .

بعد أن دلف إلى الغرفة بهدوء نظر إليها وتأملها بعض الشيء ثم توجه إلى مكتب طفله وفتح الأدراج ليجد شيئًا ولكن عند فتحه للدرج الأخير وجد كتابين تلوين وأسفلهما عدة أوراق مرسومة بيد (زار) .

ارتعشت يد (مارتن) وهو يرى هذه الرسومات فكيف لرسمات بهذا الشكل المخيف أن يرسمها طفل في عمر الخامسة؟

كانت الرسومات عبارة عن كنيسة من الداخل وجوقة أعينهم بيضاء تمامًا تتوسطهم امرأة تصرخ مستلقية على فراش حديدي مكبلة من رسغيها وقدميها وطفل يطير في الهواء يغرس في رحمها خنجر منقوش على مقبضه نجمة سداسية وفي سقيفة الكنيسة بئرين سوداوين.

علم (مارتن) أن الذي كان يراه لم يكن كابوس بل حقيقة لا يعلم كيف يحدث ويجد نفسه غافيًا أو لم يكن بالموقف نفسه.

حتى قاطعه صوت (زار) وهو يغلق الباب خلفه قائلًا بعمق:

- أبي ماذا تفعل بغرفتي؟

التفت إليه (مارتن) وتراجع خطوة للخلف هامسًا بخوف:

- أنت لستُ ابني لا تقل أباك أنتَ ابنه؟ أليس كذلك؟

ظهرت بسمة مخيفة على ملمح الصغير حتى قال بفحيح:

- أجل (مارتن) لستُ أبي.

ارتعشت سبابة (مارتن) وهي ترتفع مشيرًا إلى (زار) الذي يعقد ذراعيه بهدوء:

- أنتَ إذن من قمت بقتل العمة (مارثا) .

أشاح (زار) بيده مستخفًا:

- أه لقد كانت مزعجة حقًا تلك المرأة لقد أغضبت أمي.

ثم ضحك بسخرية مكملًا:

- أقصد خادمة الشيطان.

هز (مارتن) رأسه بعدم تصديق وقام يواجه (زار) بحزن غاضب:

- لا...لا تقل هذا إنها (فيرا) وليست خادمة الشيطان.

تحولت عيني (زار) إلى بئرين سوداوين وبصوت عميق:

- بل خادمة الشيطان أيها الأنسي التافه ووظيفتها أن تخترق جسد امرأة لها نفس مواصفات (فيرا) زوجتك فتاة ذات شعر أحمر وعينان زرقاوان ولدت

في التاسع والعشرون من فبراير (شباط) اي يكون مولدها كل أربع سنوات ويوم ميلادها تخترق تلك الخادمة جسد العروس المرغوبة وتكون متزوجة وعندها خصوبة عالية وكانت زوجتك هي من اختارها أبي وها قد أتت اللحظة الحاسمة...

تذكر (مارتن) أنه لم ينسى هذه الليلة لأنها كانت جامحة بشدة مع (فيرا) ومنها حدث الحمل لديها وكان الشيطان ثالثهما.

لم يستطع (مارتن) اكمال تخيله بل أمسك (زار) من ذراعيه بقوة محدقًا في عينيه هاتفًا بغضب جنوني:

- لن أدعك تكمل ذلك سأقتلك أيها الماكر.

ابتسم (زار) بمكر أكثر:

- معك كل الحق ولكن تُرى ماذا سيقول ضيوفك الأعزاء؟

لكمه (مارتن) في وجهُ بمُقت:

- سيروا فهناك كاميرا بهذه الغرفة وكل هذا مسجل.

لم يدافع (زار) بتاتًا بل ابتسم بغموض وعينيه تزداد بريقًا والدماء تسيل من شفته الصغيرة:

- راقب أيها الإنسي ما فعلته يداك؟

لم يدرك (مارتن) ما يعيه (زار) حتى فُتح الباب على مصراعيه وكانت (فيرا) تصرخ بهلع وهي تهرول تجاه طفلها تحتضنه وتدفع (مارتن) بعيدًا بعينيها نفس مكر (زار) :

- ابتعد أيها المختل أتضرب صغيرك هكذا؟ لقد أدميت فمه.

وبقية اقربائهما وأصدقائهما قد شهقا بهلع حتى هتفت احداهما:

- أيها المجنون كيف تضربه بهذه الوحشية؟ اتصلوا بالشرطة.

وهنا أتى دور (زار) الذي بكى ببراعة وظهرت البراءة في ملامحه:

- لقد ضربني والدي لأني أردت لعبة تشبه الشيطان لقد ضربني بقوة أنظري أمي إلى بطني وظهري...

شهق الجميع ونظرت (فيرا) بمقت إلى (مارتن) :

- أيها القذر كيف تفعل ذلك؟

علم (مارتن) أنه لو أقسم بكل الكتب السماوية لن يصدقوه فمن لا يصدق دموع طفل في الخامسة من عمره ويصدق رجل كان ينهال عليه ضربًا وعلامات الضرب الظاهرة على جسده فعلها اللعين لقد ألقاه بالجحيم.

هتف (مارتن) وهو يتوجه إلى الكاميرا وينزع منها الشريط ليعرضه عليهما هاتفًا:

- أنظرا حتى تصدقوني. انه كاذب وشيط...

ولكنه بتر جملته لأن ما رآه لم يفعله البته لقد وجد نفسه بشاشة العرض ينهال ضربًا بالفعل على (زار) وهو يصرخ ألمًا بأنه لن يفعل هذا مرة أخرى. كيف؟

صرخت (فيرا) وهي تمسك (مارتن) من قميصه بشراسة:

- اتصلوا بالشرطة لن أسامحك (مارتن) .

بعد فترة أتت الشرطة وصرخ بعدها (مارتن) وصرح أن (زار) ليس ابنه وإنما هو ابن الشيطان ابن (ديابلو) و(فيرا) ليست زوجته بل هي خادمة الشيطان.
أكمل (مارتن) ما أخبره به (زار) ولكن ضابط الشرطة قرر تحويله إلى مشفى الأمراض العقلية لأنه مختل عقليًا بهذه الخرافات التي يتفوه بها.
بعد يوم مما حدث جاءته زيارة من (كيث) في المساء الذي حاول المحايلة على الطبيب النفسي ولن يطيل الزيارة...بعد فترة من الوقت و (كيث) يجلس على المقعد ينتظر صديقه حتى سمع صرير البوابة الحديدية ودلوف (مارتن) وهو مربط بقيود حديدية وهتف عندما رآه:
- (كيث) حمد لله أنك أتيت أخبرهم (كيث) أنني لستُ مجنون.
تنهد (كيث) وربت على كتف (مارتن) :
- حسنًا سأفعل.
انتظر حتى غادر الحارس وأغلق الباب خلفه، اقترب (كيث) من (مارتن) قائلًا بخفوت:
- اسمعني جيدًا (مارتن) أنا أعلم كل شيء وأن (فيرا) ليست زوجتك و (زار) ليس ابنك منذ أن كانت تحمله بين أحشائها وحدثت لها أعراض غريبة منها الهالة الحمراء التي كانت تحاوط (زار) وصوتها الخشن.
تعجب (مارتن) مستفسرًا:
- تعلم؟! ولما لم تخبرني (كيث) ؟وتركتني هكذا؟ وكيف تعلم بهذه الأمور؟
ابتسم (كيث) بخفة:

- أنتَ لا تعلم أنني صائد الأرواح وكنت أحاول اصطياد خادمة الشيطان ولكن كان قد حدث وتلبست روح (فيرا) .

لم يصدق (مارتن) ما يسمعه وسأله بدهشة ساخرة:

- حقًا وماذا أيضًا؟ هل تعلم بما كنت أراه من كوابيس لعينة؟

نظر (كيث) للأسفل:

- أجل (مارتن) أعلم، وعلمت يوم المخيم عند اختفاء الديدان من الحاوية وأخبرني ولدي (زاك) بما فعلته (فيرا) من تناولها للديدان ونظراتها المخيفة إلى (زيتا) ، أجل كنت أعلم كل شيء (مارتن) ولكنني كنت أنتظر الوقت المناسب.

ثم أكمل وهو ينظر إليه محاولًا التوضيح:

- لو كنت أخبرتك بأي شيء من هذه الأشياء كنت سترسلني بنفسك إلى هذه المشفى.

ثم نظر إليه بقوة:

- هل كنت ستوافق لو أخبرتك أن علي قتل ابنك وطعن زوجتك؟

صمت (مارتن) وقد علم أن صديقه على حق ولكن قاطعه صوت (كيث) :

- وإذا تمت الزيجة و أصبح هناك طفل ينمو يترك حتى يولد وبعدها يتم التخلص منه عند سن الخامسة عندما يأخذ ضحيته إلى الكنيسة في وسط (سان دييغو) ...

أكمل (مارتن) بهلع:

- وجوقة من البشر بأعين بيضاء وامرأة في وسطهما ممددة على فراش حديدي مقيدة وهناك (زار) من سيقوم بطعنها بخنجر مقبضه منقوش عليه نجمة سداسية وهناك...

قاطعه (كيث) وهو يعقد حاجبيه:

- بئرين سوداوين في سقيفة الكنيسة.

ثم سأل (مارتن) :

- كيف علمت بهذه التفاصيل (مارتن) ؟

زفر (مارتن) بقوة:

- رأيتها في غرفة (زار) كان يرسمها.

قام (كيث) من مجلسه:

- هل تعلم أن هذه الحادثة قد تكررت من قبل ولحقتها قبل أن ينمو ابن الشيطان في رحم الضحية وبالطبع هناك ما لم استطع إيجادهم.

سأله (مارتن) بقلق:

- إذن ما الحل (كيث) علي أن أنقذ (فيرا) .

ثم هتف بجزع:

- هل يمكننا إنقاذها (كيث) أتوسل إليك أخبرني أن هناك أمل في إنقاذها.

تنهد (كيث) ببسمة:

- لا تقلق سننقذها اليوم.

ردد (مارتن) بتعجب وهو ينظر إلى قيوده:

- اليوم؟!

ضحك (كيث) :

- ألم أخبرك أني صائد الأرواح الشريرة التي تليق ب (زار) وبالمناسبة هل تعلم أن اسم (زار) معناها الروح الشريرة؟

نظر إليه (مارتن) بصدمه فأكمل (كيث) :

- (زار) من أصول أفريقية و من أصل قبيلة أفريقية بدائية ثم إلى الحبشة و بعدها مصر ثم الدول العربية وفي بعض الأحيان في كنائس حيث يقوم جوقة بالغناء ثم يرتفع صوتهم بالتدريج إلى أن يعلو صوتهم بنغمة معينة حتى يظنوا أن الروح القدس قد سيطرت عليهم.

ثم أخرج أداه من جيب سترته ووضعها في قيد يلي الآخر وبعد أن فك (كيث) قال:

- الآن وقد أعلمتك بقصة معنى اسم (زار) ، هيا بنا (مارتن) .

أخرج (كيث) مسدسه وقال وهو يقترب من البوابة الحديدية التي فتحها وهمس:

- سأقوم بإصابة الحارسين بالطلقات المخدرة الآن هل أنتَ مستعد؟

هز (مارتن) رأسه بتحفز:

- نعم مستعد.

وقد كان فلقد أصاب (كيث) ببراعة حارس يلي الآخر إلى أن خرج من المشفى هو و (مارتن) .

بعد أن انطلق (كيث) بسيارته حتى هتف:

- الآن سنذهب إلى كنيسة (يسوع المسيح) هي الوحيدة التي تتوسط (سان دييغو) وستقول هذه التعويذة بطريقة معكوسة.

وأعطاه كتاب محفور على غلافه البني السميك بكلمات من الذهب قرأها (مارتن) وهو يتمعن في النظر إليه:

- التعويذة...

ثم فتح الكتاب ليجد جمل مكتوبة بخيط من فراء الماعز وكأنها مطرزة ليبدأ في قراءتها...

حتى صرخ به (كيث) :

- أُصمت (مارتن) لا تتفوه بأي جملة من التي تراها إلا وأنت هناك وترى (فيرا) مقيدة و (زار) معها كما تعلم وتبدأ الجوقة في الغناء بصوت مرتفع حماسي هل فهمت؟

هز (مارتن) رأسه متسائلًا:

- ولكن مهلًا كيف سأقرأ هذه التعويذة؟

لاحت الكنيسة من بعيد و (كيث) ينظر للطريق جيدًا ولكنه أجاب بهدوء:

- لا تقلق (مارتن) ستستطيع قولها يبدو أنك المختار يا صديقي.

ارتعشت جانب شفة (مارتن) السفلى بتوتر وخيفة عندما توقف (كيث) بمقربة من الكنيسة ونظر إليه بتوسل:

- رجاءً (كيث) كن بالقرب مني أنا لا أشعر بقدمي صدقًا.

هزهُ (كيث) بقوة من كتفيه هاتفًا:

- بل ستستطيع (مارتن) أنتَ رجل قوي وصامد ولن تتركهم ينتزعون (فيرا) زوجتك وحب حياتك منك بهذه السهولة بل ستدخل الآن وتقوم بقراءة التعويذة وتخلصنا وتخلص العالم من هذا الشر.

انتفخت عروق (مارتن) بكلمات (كيث) وأغمض عينيه بقوة وهو يحوي بين أنامله ذاك الكتاب ثم زفر بقوة ودفع باب السيارة ووقف كالوتد:

- أجل معك حق سأنتزع (فيرا) من بين براثن (زار) .

اندفع (مارتن) بقوة وكان (كيث) قد أحضر سلاحه الخشبي الذي به أوتار مشدودة وعدة أسهم مدببة لونها أحمر قاني و من المتضح أنها مخصصة لقتل كائنات معينة وراقب (مارتن) بتعجب من تغيره المفاجئ هذا ولكنه يعلم بداخله أنه المختار وهو من سيخلص العالم من (زار) .

خطى (مارتن) بقوة وخلفه (كيث) وبدأ بسماع صوت الجوقة يعلو غنائهم بالتدريج ثم علا صوتهم فجأة وأصبح هناك مزيج من الصراخ وقد ميزه فهذا صوت (فيرا) ثم همسات ترتفع أكثر فأكثر وكأنها طلاسم ولكن الغريب في الأمر أنه

كان يفهم معناه فلقد سمع كالتالي ومع رؤيته للمشهد الذي يعلمه جيدًا ويعلم أنه (زار) من يتكلم:

- أنا ابنك ومن دمك المقدسة ومن الدماء الطازجة أقدم لك عروسك المختارة...

تُضحي لأجلك لأولد وأتواجد بين النفوس الضعيفة من يقتل ومن يزني ومن يسرق ومن يفعل الفواحش أنا ابنك (زار) روح شريرة تطفو في سماء الدُنيا أطلقني لأفعلها.

وفجأة ارتفعت أصوات الجوقة وهم يرتعشون وعيونهم تزداد بياضًا وكأن الشمس ستخرج منهما و (فيرا) مرتدية ثوب أبيض يظهر ساقيها صارخة باستغاثة وجسدها بالكامل ينقبض مثل عروق عنقها البارزة مع خروج خوار من فمها مهيب و (زار) عند قدميها يرتفع بجسده الصغير وبيده الخنجر يرفعه عاليًا حتى يغرزه وعينيه تطلق شررًا وبالسقيفة يظهر البئران السوداوان. هتف (كيث) ب (مارتن) وهو يصوب سلاحه تجاه الجوقة:

- الآن (مارتن) انطقها الآن عند رأس (فيرا) بقوة وبصوت عالي.

اتجه بسرعة ناحية الجوقة ليصل إلى رأس (فيرا) وهتف:

- وماذا عن هؤلاء المتوحشون؟

صرخ به (كيث) وهو يطلق أول سهم تجاه فرد منهم ويصيبه في عينه:

- أنا سأتولى أمرهم.

وجد (مارتن) أفراد الجوقة يتساقطون موتى من أثر إصابة (كيث) لهم المحترفة في أعينهم حتى تفاجئ (مارتن) بضحكات مرتفعة من (زار) مشيرًا إليه بسخرية:

- أنتَ مرة أخرى. أبي الحبيب هل اشتقت إلي؟

ثم هدر بغضب:

- أيها الإنسي التافه كيف تتجرأ على حضور هذه المراسم الخاصة بأبي.

ورفع ذراعيه بالخنجر صارخًا وعينيه تزداد بريقًا تحول إلى حمم بركانية:

- الآن ستنطلق روحي إلى العالم الأخرق سأهديها لك يا أبي.

ولم تتوقف صرخات (فيرا) وكأن خادمة الشيطان قد خرجت من جسدها مع خروج هذا الخوار من حلقها وصرخت بهلع:

- ماذا هناك من أنتَ؟ لا تقتلني أين أنا؟ النجدة (مارتن) .

ضحك (زار) بوحشية:

- أه...ها قد بدأ المرح لقد جاءت الآن، مرحبًا بكِ (فيرا) . هل تسمحين بغرز خنجري الآن حتى تنتهي مراسم الزفاف؟

أخرج (مارتن) الكتاب من سترته وفتحه صارخًا بصوت جهوري فوق رأس (فيرا) :

- "انأ كنبا ونم كمد تسدقمال ونم أمدلا تجزاطلا مدقأ كل كسورع تراتخملا..."

بدأ يصرخ (زار) بقوة وجسده ينبثق منه نور أبيض يخرج من أحشائه ليقسم جسده نصفين، ومازال (مارتن) يكمل تعويذته بثبات وينهيها وهو يراقب توهج (زار) وتلاشيه:

- انأ كنبا (راز) حور تريرش وفطت يف أمس ايندلا ينقلطأ لهلعفأل.

وبعد أن أنهى (مارتن) تعويذته صرخ (زار) بقوة عالية مستغيثة:

- أبي...

انفجر جسد (زار) وتناثر كرماد ينتقل للبئرين وتلاشى كل شيء وحتى جثث الجوقة اختفت كل شيء منهار عاد لطبيعته ومعها بدأت الشمس تتخلل زجاج الكنيسة لتشهق (فيرا) وهي تقف بجانب (مارتن) تحتضنه باكية:

- لقد افتقدتك حبيبي (مارتن) لم أراك منذ زمن أين كنت؟ ومن (زار) و...

قاطعها (مارتن) وهو يضع سبابته على فمها يهدئها:

- شششش سأقص عليكِ كل شيء حبيبتي ولكن...

ثم صمت وقال بإجهاد ونبرة توسل:

- هل يمكننا العودة إلى منزلنا الآن ونحيا حياة طبيعية؟

ضحك (كيث) ثم همس في أذن (مارتن) :

- لا تقلق عندما تخرج (فيرا) وتعود إلى المنزل سيُمح كل ما رأته تمامًا وسيعتبر هذا سرنا أنا و أنت فقط.

رفع (مارتن) حاجبيه وهو يخرج من بوابة الكنيسة:

- حقًا؟ وهل أيضًا الشرطة و مشفى الأمراض النفسية؟

ابتسم (كيث) مؤكدًا وهو يقترب من سيارته ويفتحها ويدخل (فيرا) بهدوء إلى المقعد الخلفي:

- كل ما يتعلق بأي شيء خاص بسرنا سيُمحى من عقول البشر لا تقلق.

ثم أردف وهو ينظر إليه بقوة وبريق عينيه يلتمع أكثر فأكثر:

- لأنك المنشود كما أخبرتك وقد خلصتنا من شر كان سيظل للأبد خلصتنا من (زار) ...

ابتسم (مارتن) وركب السيارة بفخر:

- أجل أنا المنشود.

ثم هتف فجأة بجنون وهو يراقب جلوس (كيث) أمام عجلة القيادة:

- والآن أريد منزلي وفراشي وإلا ستلقيني في المشفى بيدك هذه المرة (كيث) .

ضحك (كيث) بقوة وهو يضغط على دواسة الوقود:

- بكل سرور يا صديقي.

انتهت أسطورة (زار) اللعنة التي حلت على (مارتن) وتغلب عليها ولم تستطع هزيمته، فمن قال أن الضعيف لا يمكن أن يفعل شيء أو يكون سبب في درء ضرر أو شر.

قم بنفسك وأهزم شرك قبل أن يهزمك، هكذا خُلق الإنسان ليثابر و يعافر في حياته حتى مماته.